السلطة السياسية واثرها في توظيف النقد الادبي في الأندلس

طالبة دكتوراه / دعاء كاظم علي أ.د. جنان قحطان فرحان

جامعة بغداد- كلية التربية للبنات - قسم اللغة العربية

الملخص :

يعد الحكام من المؤثرات الرئيسة التي شكلت الذوق الادبي والنقدي في الاندلس، وكان تأثيرهم عظيما في الفترة الاولى من تاريخ الاندلس ولاسيما في عهد الخلافة الى سقوطها في قرطبة ،وبعد ذلك بدأت الفتن تعصف بالأندلس مما أبعد الادب عن بلاط الحكام ،والامراء واصبح هناك كساد ادبي ،و لايعني ذلك ان الادب لم يعد موجودا ولكنه انفصل عن الرعاية الاميرية له . وفي المرحلة الاولى من تاريخ الاندلس الادبي كانت هناك ممارسة رسمية في توجيه الادب الى مشارف الفحولة والجزالة والعمق ،من خلال ممارسة الحكام وبذوقهم العربي الاصيل وصايتهم عليه منذ فترة تأسيس الامارة الى نهاية القرن الخامس الهجري ،من خلال انهم جعلوا الادب يستمد انموذجه من ابعاد البيئة العربية ،وقد ساعدهم في ذلك مواهب ادبية ترعرعت في منابت الاساليب الاصيلة .

الكلمات المفتاحية: (السلطة السياسية، النقد الأدبي).

Political authority and its impact on employing literary criticism in Andalusia

Doctoral student / Doaa Kazem Ali,

Prof. Dr. Janan Qahtan farhan

University of Baghdad – College of Education for Girls –

Department of Arabic Language

Abstract:

The rulers are considered one of the main influences that shaped the literary and critical taste in Andalusia. Their influence was great in the first period of the history of Andalusia, especially during the era of the Caliphate until its fall in Cordoba. After that, strife began to ravage Andalusia, which drove literature away from the courts of the rulers and princes, and there became a literary depression. This does not mean that literature no longer exists, but that it has been separated from the princely care for it. In the first stage of the literary history of Andalusia, there was an official practice in directing literature to the

verges of virility, magnificence, and depth, through the exercise of the rulers, with their authentic Arab taste, and their guardianship over it from the period of the founding of the emirate until the end of the fifth century AH, through which they made literature derive its model from the dimensions of the Arab environment. They were helped in this by literary talents who grew up in the sources of authentic styles.

Keywords: (political power, literary criticism).

المقدمة :

كان للسلطة السياسية الاثر الفاعل في بروز الخطاب النقدي الاندلسي ، ونتيجة لهذه الأوضاع السياسية ظهرت نوازع نقدية متعددة اسهمت في تشكيل الخطاب النقدي بما ينسجم وتلك الأوضاع السياسية ،ولاسيما عند نقاد الأندلس المشهورين بوعيهم ،والذين نهضوا بالنقد بعد ركونه فترة طويلة، حبيسا بمقاعد المؤدبين وحلقاتهم .

أثر السلطة السياسية في انتاج الخطاب النقدي الاندلسي

في هذا البحث نتحدث عن أثر السلطة السياسية في انتاج الخطاب النقدي الاندلسي ،وقبل الولوج في تلك الفواعل السلطوية لابد ان نبين ونتحدث عن تلك الحياة السياسية في الاندلس بتمظهراتها المختلفة .

تقع بلاد الأندلس في الجنوب الغربي من أوربا ، ويحدها من الغرب المحيط الأطلسي ، ومن الجنوب مضيق جبل طارق وجزء من البحر المتوسط الذي يكتنفها ممتدا إلى شرقها ، أما في الشمال فتحدها فرنسا التي كان يطلق عليها العرب بلاد الفرنجة(ابن الاثير ،٢٠٠٩: ٥٥٦).

وكثيرا ما يطلق على الأندلس اسم :(جزيرة الأندلس) ، والواقع أنها شبه جزيرة لا جزيرة ، وإنما سميت جزيرة بالتغليب كما سميت جزيرة العرب بذلك(ابن الاثير ،٢٠٠٩: ٥٥٦) .

أما سبب تسمية الأندلس بهذا الاسم فلكي نعرفه علينا أن نقف أولا أمام هذه الكلمة لنسأل هل عرف العرب هذا الاسم الأعجمي قبل الإسلام ؟ والواقع أن العرب لم يعرفوه إلا في الإسلام ، حين أطلقوه على شبه جزيرة إيبيريا بعد فتحها . حيث سمى العرب جميع البلدان الإسبانية التي فتحوها باسم (الأندلس) وليس من السهل شرح هذه التسمية ولكن يمكن تقريبها من اسم جماعات الفنداليين الذين

هاجموا أسبانيا ومروا بها مهاجرين إلى أفريقيا الشمالية في بدأ القرن الخامس الميلادي . إذ يقال إن هؤلاء الفنداليين عند قطعهم مضيق جبل طارق سمي المرفأ الذي أبحروا منه باسمهم وقيل له (فَنْدَلس) ، وقد بقي هذا المرفأ على اسمه حتى جاء المسلمون فجعلوه شاملا لجميع البلدان التي احتلوها بعد أن حرفوه وجعلوه (أندلس)(زيدان،٢٠١٨: ٨).

لقد كتب (موسى بن نصير) عامل (عبد الملك بن مروان) على المغرب ، رسالة يزين له فيها فتح الأندلس لعظيم خيراتها ووفرة غلاتها ، وسهولة فتحها ؛ لما تعانيه البلاد من تفكك وانقسام ، مؤكدا له أنه سيقف في صفه أثناء الفتح .فأرسل موسى بدوره إلى الوليد يستأذنه في هذا الفتح ، فأذن له على شريطة أن يخوضها بالسرايا أولًا ، ولا يقتحم بحرًا شديد الأهوال غير خبير بدروبه ومسالكه ، فبعث موسى حينئذ مولى له يسمى (طريف بن مالك المعافري) في خمسمائة رجل منهم مائة فارس فعبروا البحر على أربع سفن أعدها لهم (زيدان،٢٠١٨: ٨).

ثم عاود يوليان الكرة في تحريض موسى على الفتح ، فنجح في التأثير عليه واختار موسى بربريا من مواليه يدعى (طارق بن زياد) على رأس جيش قوامه سبعة آلاف من البربر، وكان نزولهم على جبل أطلق عليه بعد ذلك جبل طارق . وتم الفتح بعد حروب طاحنة أبلى فيها المسلمون بقيادة طارق بلاء منقطع النظير ، وكان العنصر البربري هو الغالب في هذه الحملة (الحجي، ١٤٠٣: ٥٧).

مراحل الحياة السياسية للمسلمين في بلاد الاندلس

المرحلة الأولى :

مرحلة عهد الولاة (٩٥- ١٣٨) :

وتطلق هذه المرحلة على الفترة الواقعة ما بين الفتح وتولي بني أمية مقاليد الأمور ، وكانت الأندلس في هذه الفترة تابعة للخلافة في دمشق، وقد تسبب كثرة الولاة وقصر مدة كل منهم وتنافسهم على مقاليد الأمور في اضطراب الأحوال في عهدهم وكثرة العصبيات القبلية ، فلم يقتصر الصراع على العرب فيما بينهم بل شجر بين العرب والبربر الذين كانوا يعتدون بطارق بن زياد البربري فاتح الأندلس ويعتقدون بأحقيتهم في حكم البلاد ، واستمر هذا الوضع حتى تطور إلى فتنة كبرى عرفت

فيما بعد بالفتنة البربرية (الحجي، ١٤٠٣: ٦٠).

وكان من الأسباب التي أدت إلى بروز ظاهرة الصراع هذه "موجات الهجر المتتابعة التي وفدت إلى الأندلس ،فقددخل المسلمون إلى الأندلس مع الجيش الإسلامي الفاتح وكانوا من العرب والبربر ، فنشأ الصراع أولا بين العرب والبربر ، ومن ثم بين القبائل العدنانية واليمنية لاختلاف المصالح والرغبة في اقتسام النفوذ "(الحجي،١٤٠٣: ٦١).

المرحلة الثانية :

مرحلة السيادة الأموية (١٣٨-٤٢٢) :

وهذه المرحلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

- إمارة قرطبة .
- خلافة قرطبة .
- الدولة العامرية .

أولا : إمارة قرطبة :

بدأت هذه المرحلة بدخول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ، وقد تداول الحكم بعده ستة من أبنائه وأحفاده وكان بعضهم يحاول أن يتشبه بالخلفاء العباسيين الأقوياء كالحكم بن هشام الذي سار سيرة أبي جعفر المنصور ، يقرّب العلماء والفقهاء ، وأبرز هؤلاء جميعا عبدالرحمن بن الحكم (الأوسط) الذي عرف باهتمامه العلمي والثقافي حيث شجع العلماء والأدباء والفلاسفة وكان شاعرا وعالما ، وقد بالغ في إكرامهم . وكان هؤلاء الأمراء الأمويون يتصفون بالتسامح الديني ولم يتورعوا عن تعيين النصارى في المناصب السياسية والحربية ، وشجع هذا التسامح على اعتناق العديد منهم الإسلام ، وكان معظمهم شعراء وعلماء وفصحاء ، وقد أدى ذلك إلى ازدهار الحركة الأدبية بفضل رعايتهم لها(البلاذري ،١٩٨٨: ٢٣٠) .

ثانيا : خلافة قرطبة :

تبدأ هذه الفترة بتولي عبدالرحمن الناصر الخلافة فهو أول من تسمى بأمير المؤمنين في الأندلس ، وذلك بعد أن فقدت الخلافة العباسية في المشرق هيبتها وحضورها الفعلي ، فقد سيطر

الأعاجم منذ أوائل القرن الرابع الهجري ، فاغتنم الناصر هذه الفرصة وأعلن نفسه خليفة ، وقد استولى على مقاليد الأمور في الأندلس وهي تعاني من اضطراب داخلي خطير فأعاد الأمور إلى نصابها ، ويصف بعض الدارسين عهده بأنه يمثل عودة الشباب إلى الأندلس حيث كان أكثر المثقفين في الأندلس شعراء في عهده أو رواة للشعر ، وكان من الشعراء الذين قربهم ابن عبدربه الأندلسي صاحب كتاب (العقد الفريد) (البلاذري ،١٩٨٨: ٢٣١).

ثالثا : الدولة العامرية :

تبدأ هذه الفترة بالحاجب المنصور وهو محمد بن عبدالله بن أبي عامر الذي أمسك فيقبضته بأزمة القيادة في عهد هشام المؤيد الذي تولى الحكم وهو حدث صغير فأقام عهدا جديدا يطلق عليه المؤرخين (عهد الدولة العامرية)، وكان أديبا شاعرا فشجع الأدباء والعلماء وبموته وموت ولده عبدالرحمن انتهت هذه المرحلة العارضة في عصر الخلافة الأموية ، وعاد الأمر إلى البيت الأموي ، ولكن الخلفاء الذين جاءوا بعده كانوا ضعافا فأفلت الزمام وانتهى هذا العصر بخلع آخر خليفة أموي في قرطبة وهو هشام الثالث فاقسم البلاد أمراء وزعماء من العرب والبربر و الموالي وبدأ عصر ملوك الطوائف (سالم، ١٩٩٧: ١٣٧).

المرحلة الثالثة :

عهد ملوك الطوائف (٤٠٠-٥٣٦) :

وهذه المرحلة تبدأ قبل سقوط الدولة الأموية في الأندلس بعشرين عاما تقريبا ، ومن الدول التي قامت في الأندلس في هذه الفترة : دولة بني هود ، وبني رزين ، وبني حمود ، وبني الأفطس ، وبني عباد ، وبني جهور ، وبني ذي النون ، وهم ينتمون إلى عناصر مختلفة أما أثرهم في الأدب الأندلسي فكان يتمثل في التنافس فيما بينهم على استقدام الشعراء والعلماء مما أوجد حركة أدبية واسعة ، وكان الأدب في هذه البلاد قبل ذلك قد نضج وبلغ أوجه (سالم، ١٩٩٧: ١٣٨).

المرحلة الرابعة :

عهد المرابطين (٤٩٥- ٥٥٥) :

كان المرابطون حكاما للمغرب العربي في شمال أفريقيا ، واستنجد بهم ملوك الطوائف وخصوصا المعتمد بن عباد ، وكان أساس دعوتهم الاهتمام بعلوم الدين والقضاء على الفساد ، وقد اتصف المرابطون بالزهد والتقشف ، وقد نشطت الحركة العلمية في عصر المرابطين ، وظهر فيها كبار العلماء أمثال ابن باجة ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وكلهم من الفلاسفة ، وقد حظي العلماء والأدباء في عهدهم بالرعاية والعناية (سالم، ١٩٩٧: ١٣٨).

المرحلة الخامسة :

عهد الموحدين (٥٢٤-٦٦٧):

والأساس الذي قامت عليه دولة الموحدين ديني كذلك ، وكانوا أكثر ميلا إلى العلوم والآداب ، وأكثر خلفاء الموحدين عناية بالشعراء والعلماء يوسف بن عبد المؤمن الذي آزر الفلاسفة ، من أمثال ابن عربي وابن سبعين والششتري(أرسلان، د.ت: ٧٣) .

المرحلة السادسة :

عهد بني الأحمر (٦٣٥-٨٩٨) :

جاء بنو الأحمر في أعقاب الموحدين ، وكانت الفتنة والاضطرابات قد بلغت ذروتها فقد كان محمد بن يوسف أحد ملوكها الأقوياء المنقذ الذي يعقد عليه الآمال في إقالة عثرة الأندلس من كبوتها ، واستولى على غرناطة والمرّية وأقام دولة استمرت قرنين ونصف ، ولكن النفوذ النصراني كان قد استفحل وقوي ، وعانت دولتهم من الحروب الداخلية في غرناطة حيث كثرت الفتن والانقلابات ، وكانت نهاية ملك العرب في الأندلس على يد الابن محمد الذي سلم ملك قشتالة مفاتيح غرناطة عام ٨٩٨ هـ ، وكان يبكي فقالت له أمه كلمة خلدها التاريخ :" أجل عليك أن تبكي بكاء النساء على ما عجزت أن تدافع عنه دفاع الرجال "، وغلب على شعر هذه المرحلة سمة الاستغاثة واستنهاض الهمم (أرسلان، د.ت: ٧٤).

و نشطت العلوم والثقافات والفنون في الأندلس نشاطا كبيرا لا حد له ، فقد كان لهم وسائلهم الخاصة في اكتساب العلم وتأسيس حركته في بلادهم ، ولعل أهم الوسائل التي استخدموها في ذلك

هي الوسائل الأربع التالية (أرسلان، د.ت: ٧٤):

الوسيلة الأولى :

" وتتمثل في دعوة بعض علماء المشرق إلى الأندلس ليفيد أهلُه من علمهم وأدبهم ، ومن ذلك على سبيل المثال رحيل أبي علي القالي صاحب كتاب "الأمالي" من بغداد إلى الأندلس بدعوة من الخليفة عبدالرحمن الناصر ، حيث لقي عنده كل إكرام ، واختص بابنه الحكم المستنصر ، وأورث أهل الأندلس علمه" (المطرزي، ١٩٧٩ : ٤٠٦).

وكان أبو علي القالي إماما في اللغة حافظا لأشعار العرب ، فنشر ما شاء الله أن ينشر من علمه في الأندلس ، وأخذ يروي مختارات من الأدب حيثما اتفق ، ثم يشرح ما يحتاج إلى الشرح نظما ونثرا (المطرزي، ١٩٧٩ : ٤٠٧).

" ومن ذلك أيضا أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ، عالم اللغة والأدب والأخبار ، فقد رحل إلى الأندلس في ولاية المنصور بن أبي عامر ، ونال عنده كل حظوة وجمع له كتابا سماه " الفصوص "نحا فيه منحى القالي في أماليه ، وكان نبوغه ومهارته يتجليان في حُسْن بديهته الأدبية ، ورواياته الشعرية" (التلمساني، ١٩٦٨: ٤٣٢).

ثم نشأت طائفة من أهل الأندلس تؤلف كما ألَّفا ، ومن هذه الطائفة أبو عمر أحمد بن عبد ربه ، صاحب كتاب "العقد الفريد " فقد اختار في كتابه زبدة أدب المشارقة ، واعتمد على كتبهم ، ولا سيما كتاب " عيون الأخبار " لابن قتيبة ، وكان قصده من وراء تأليف كتابه القعد أن ينقل إلى الأندلسيين أدب المشارقة (التلمساني، ١٩٦٨: ٤٠٠).

الوسيلة الثانية :

" و تتمثل في رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق ، ممن ندبوا أنفسهم لتحصيل علم من علوم المشارقة والتبحر فيه ، ثم العودة إلى الأندلس لنشر ذلك العلم بين أهله .وخير مثال على ذلك يحيى بن يحيى الليثي ، فقد رحل إلى المدينة ، وتتلمذ للإمام مالك ، وأخذ عنه كتابه المسمّى " موطأ مالك " كما سافر إلى مصر وأخذ من أكابر علمائها ، ثم عاد ونشر علمه بين أهل الأندلس" (الفاسي، ١٩٧٢: ١٢) .

ومثل يحيى الليثي كثير من أهل الأندلس الذين رحلوا إلى الشرق في طلب العلم . وقد أورد

المقري في كتابه " نفح الطيب " تراجم كثيرة لمن إرتحلوا إلى الشرق للعلم ، وقد بلغ من إقبالهم على ذلك أن كان الرجل يعاب بأنه لم يرحل إلى الشرق(المراكشي،٢٠٠٦: ٢٤٢) .

ومن هؤلاء جميعا ظهرت بعد ذلك طبقة من الأندلسيين يتقنون العلم ، ويحملون عبء نشره في كل فرع من فروع العلم (التلمساني، ١٩٦٨: ٧٣٨).

الوسيلة الثالثة :

تتمثل في جمع الكتب وإقامة المكتبات العامة يؤمها الدارسون والباحثون ، وقد كان لهذه الوسيلة دورها هي الأخرى ، في تنشيط الحركة العلمية والأدبية بالأندلس ، وتحريك همم الناس للإقبال على قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم (التلمساني، ١٩٦٨: ٤٠٠).

" وقد كانت عناية الخلفاء بالكتب والمكتبات واضحة ، فعبدالرحمن الناصر كان شديد العناية باقتناء الكتب النادرة ، وكان يرسل من يبحث عنها ويشتريها له من القسطنطينية والعراق والحجاز والشام ومصر" (دار الرشاد الحديثة ، ١٩٧٩: ٦١).

وكان لابنه الحكم المستنصر مكتبة ضخمة جمع بها كتب لا تُحد ولا تُوصف كثرة ونفاسة ، وحشد لها من الحذَّاق في صناعة النسخ والضبط والتجليد العدد الكبير وكذلك مكتبة مأمون الموحدين ، يوسف بن عبدالمؤمن ، التي كانت تضاهي مكتبة الحكم المستنصر(الشنتريني ، ١٩٨١: ٧٩).

الوسيلة الرابعة :

تتمثل هذه الوسيلة الأخيرة في أمراء الأمويين وخلفائهم في الأندلس ، ثم فيمن تلاهم من ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين وبنو الأحمر (الشنتريني ، ١٩٨١: ٧٩).

"وأغلب هؤلاء لم يكن منهم إلا من هو أديب أو شاعر أو عالم ، وهذا يعني أنهم لم يقفوا بمعزل عن الحركة العلمية والأدبية والفنية في الأندلس ، بل على العكس نراهم يزجُّون بأنفسهم في هذه الحركة ، ويكونون من فرسان حلبتها ، ويثرونها بالكثير من نتاج عقولهم وقرائحهم "(المراكشي،٢٠٠٦: ١٦٠).

وما من شك في أن موقفهم الإيجابي هذا ، ممثلا في نتاجهم العقلي ، قد رفع من شأن الأدب والعلم في أعين الناس ، وشجع منهم ذوي الطموح والمواهب على الاشتغال بهما ، والتنافس في الإبداع والابتكار إنشاء أو تأليفا ، مما أكسب الحركة الأدبية والعلمية في الأندلس أبعاد جديدة ، وأخذ بيدها

صُعَدا على طريق النمو والازدهار (التلمساني، ١٩٦٨: ٩٧).

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى كان هؤلاء الملوك هم رعاة الحركة الأدبية والعلمية بالأندلس ، في كل طور من أطوارها . فهم يتخذون حجّابهم ووزراءهم وكتابهم من مشاهير الأدباء ، وفي ذلك ميدان جديد للتنافس بين أدباء كل عصر في نيل حظوة الملوك والتقرب إليهم بالأدب أو العلم ، فمن لا تحدثه نفسه منهم بأن يكون يوما وزير ملك أو كاتبا لملك ؟وهم بالإضافة إلى ذلك يعرفون كأدباء وعلماء فضل الأدب والعلم ، ومن أجل ذلك كانوا حريصين على تشجيع طوائف العلماء والأدباء والشعراء بالعطاء الجَمْ والاستماع إليهم في مجالسهم الأدبية ، وكان من شأن هذا التشجيع أن يزيد من حماسهم ، وأن يغريهم بالإجادة والإبداع والتفنن في كل ما ينشئون من نثر وشعر ، وكل ما يؤلفون في شتى فروع العلم والمعرفة(ابن الأبار، ١٩٨٥: ١٦٤) .

وهكذا وبكل هذه الوسائل نمت آداب الأندلس وتطورت حتى بلغت ذروة كمالها ، ثم بفنونها وألوانها وطابعها المشرق البهيج أضافت إلى أدبنا العربي تراثا نفيسا يعتز به كل الاعتزاز (ابن الأبار، ١٩٨٥: ١٦٤).

ونتيجة لهذه الأوضاع السياسية ظهرت نوازع نقدية متعددة اسهمت في تشكيل الخطاب النقدي بما ينسجم وتلك الأوضاع السياسية ،ولاسيما عند نقاد الأندلس المشهورين بوعيهم ،والذين نهضوا بالنقد بعد ركونه فترة طويلة، حبيسا بمقاعد المؤدبيين وحلقاتهم ،ولم يستطع النقد الأدبي بالأندلس قبل القرن الخامس الهجري أن يرتفع الى مستوى المشكلات الكبرى التي دارت في النقد المشرقي وشغلت حقله ،كالثنائيات المعروفة باللفظ والمعنى ،والصدق والكذب والشعر والنثر ،وظل بسذاجته على مستوى التنظير والتطبيق لاينفك عن التمرس ببعض الأخطاء اللغوية والنحوية والعناية بجمع اللغة والغريب(الضبي، ١٩٦٧: ٢٩٧).

ولابد من التنويه أن الحكام أسهموا في تقوية شوكة هذا المنحى اللغوي في النقد ،اذ كانت جهود الناصر وابنه المنصور العامري فعالة في حمل العلماء على التأليف والترجمة والتدقيق العلمي والمقابلة وتصحيح النسخ .وكان لهم الأثر الواضح في تسليط الضوء على قضيتين نقديتين ،هما المختارات الأدبية التي كانت على شكل معارضات لما يتم انتاجه في المشرق ،كجمع عبد الله بن محمد بن مغيث المعروف بابن الصفار كتابا في أشعار الخلفاء من بني أمية في المشرق والأندلس على غرار كتاب

الصولي في أشعار خلفاء بني العباس (الداية،٢٠٠٨ :١١٧).

وألف له أيضا أحمد بن محمد بن فرج الجياني كتاب الحدائق الذي عارض به كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصفهاني، الا أن أبا بكر ذكر مئة باب في كل باب مئة بيت، وأورد بو عمر مائتي باب في كل باب مائتا بيت ولم يورد فيه لغير اندلسي (الداية،٢٠٠٨ :١١٧).

أما القضية النقدية الثانية فهي قضية البديهة والطبع، وقد مثلتها مجالس المنصور بن أبي عامر وذلك من خلال استقطابه للشعراء .وعقده مجلس معروف بالأسبوع وكان له ديوان يرزق منه الشعراء كلا ومرتبته ،ورأى المنصور ان يلزم الشاعر حتى يثبته في الديوان،و ان يمر بتجارب شعرية مفاجئة رغبة منه لهذه الميزة واعلاء شأنها .ومن ابرز صورها ماكان يفعله مع صاعد البغدادي وعلى هذا المقياس جرى في تقسيم الشعراء الى طبقات ،فذوو البديهة والأرتجال يسجلون في ديوان الندماء ،ويتصلون مباشرة بالمنصور ،اما ذوو التثقيف والتجويد والصنعة فيلحقون بديوان العامة (الضبي، ١٩٦٧: ٢٩٥).

وقد نجد ان ابن شهيد وابن حزم من النقاد الأندلسيين اللذين عاشا بقرطبة، وعانيا من التشرد والانتقال بعد العز الذي كانا فيه، وقد حاولا من خلال محاولاتهما النقدية ان يبرزوا للاندلس شخصيتها ،فوضع ابن شهيد كتاب (حانوت العطار) الذي بين فيه حقيقة الادب الاندلسي المستقل بشخصيته بالترجمة للأدباء الأندلسيين ،أ و بالموازنة مع نظرائهم من المشارقة مستغلا مقدرته النقدية في اثبات ذلك كما بين لنا ذلك الحميدي في حديثه عنه في جذوة المقتبس (الضبي، ١٩٦٧: ٢٩٥).

وعودا على بدء حديثنا ،عن أهم الظواهر النقدية التي اسهمت في بيان الشخصية الاندلسية المستقلة، والتي افرزتها السلطة السياسية كونها فاعلا سلطويا مستقلا ومهيمنا في بروز القضايا النقدية المتعددة ، كظاهرة المعارضات سواء في الكتب والمؤلفات أو غيرها ، والتي كانت نتيجة فعالة للمجالس الشعرية التي يشجع عليها الحكام ،اذ وضع الثعالبي يتيمة الدهر وقصرها على شعراء عصره من القرن الرابع الهجري ،فعارضه ابن بسام يرتسم خطاه في حصر ذخيرته في شعراء القرن الخامس الهجري .وقد شرح الاندلسيون شعر المتنبي ومشكل ابياته كما فعل ابن سيدة ،او كشفا لسرقاته ومشكل معانيه كما فعل ابن بسام (الشنتريني ، ١٩٨١: ٣٠٢).

وحاول النقاد الاندلسيون التفرد الذي لم يسبق اليه فألف ابن حزم كتاب طوق الحمامة الذي يعد

من الأعمال العربية القليلة التي تتسم بالأصالة ، والتفرد في بابها وهذا يجسد خصوصيتهم، وتفردهم الذي ينم عن ذكائهم، وفطنتهم، وتجديدهم في الأبداع الأدبي والنقدي (الداية،٢٠٠٨ :١١٧).

ونجد ان من القضايا النقدية،الاخرى التي افرزتها تلك السلطة السياسة ، قضية اللفظ والمعنى ، التي تكلم عنها النقاد الاندلسيون كثيرا ومنهم بسام والذي وصف الجمع الجيد بينهما بانه صناعة اذ قال :"انما يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان ،وتعمد كرائم المعاني والكلام (الشنتريني ، ١٩٨١: ٣٠٢) " ، فقد ساوى بين اللفظ والمعنى من خلال ادراجهما تحت مصطلح الصناعة ،ولاشك انه توصل الى مثل هذه الاراء الفلسفية التي تجسد انصهار اللفظ والمعنى في بوتقة صناعية واحدة فرضتها السلطة السياسية ،وانبثاق الخطاب النقدي المتأصل من تلك السياسية.

وقد يسأل سائل ماعلاقة اللفظ والمعنى بالسلطة السياسية ،فتكون الأجابة أن العلاقة وثيقة جدا لأن السلطة السياسية ،ودور الخلفاء والقصور الرسمية تقام بها الأندية الشعرية والشعراء يتبارون في الأبداع الشعري ،والتكسب بالشعر فتكون المنافسة بينهم والحكم هي السلطة السياسية التي لها باع طويل في التعمق بتلك القضايا النقدية،كاللفظ وانصهاره بالمعنى ،والسرقات الشعرية وتتبع اصل المعاني والسبق لها وتطورها اللفظي ،فضلا عن قضية الطبع والصنعة،وغيرها من القضايا التي استرعت اهتمام تلك الحاشية السياسية .

وكانت قضية السرقات القضية النقدية المهمة التي شغلت النقاد الأندلسيين فقالوا الآراء النقدية التي تفردوا بها، فذكروا في خطاباتهم النقدية النصائح والتعاليم الموجهة للشاعر، والتي تجسد الرغبة لديهم في تلك المنافسة اللفظية المعنوية التي تدلي بالنهاية الى المنافسة التكسبية السلطوية ،فقال ابن بسام "اذا اعتمدت معنى سبقك اليه غيرك فاحسن تركيبه، وأرق حاشيته فاضرب عنه جملة وان لم يكن بد ففي غير العروض التي تقدم اليها ذلك المحسن لتنشيط طبيعتك "(الشنتريني ، ١٩٨١: ١٥٦).

فابن بسام يقدم الوصفة الشعرية التي تعيد المعنى المتداول جديدا لم يسبق اليه ، يوعز للسارق ان يغيير العروض، والموسيقى ليحقق المخالفة . ومن نصائحه للشعراء في التنبيه على مواضع

السرقة قوله :"اذا ظفرت بمعنى حسن ،او وقفت على لفظ مستحسن ،ذكرت من سبق اليه ،واشرت الى من نقص عنه ،او زاد عليه ،ولست أقول :أخذ هذا من هذا قولا ،فقد تتوارد الخواطر ،او يقع الحافر خيث الحافر ،اذ الشعر ميدان ،والشعراء فرسان "(الشنتريني ، ١٩٨١: ١٥٦) واذا كان ابن بسام يقدم النصيحة للشعراء في اخفاء السرقة ،والتغيير في الشكل البنائي للمعنى ، نجد ان موقفه هذا من قضية السرقات يتسم بالروية والتأني ،لان النقد قد يرى ان هذا المعنى مخترع ،وان ذلك المعنى مسروق ،وذلك يحتاج الى تحرز وتحرج ،فقد يكون المعنى المبتدع مما أخذه الشاعر بلا وعي وادخله في محفوظه ،واستخدمه في شعره .فلاسرقة في المعاني المشتركة عند ابن بسام .

ومن تلك التمثلات المعنوية المشتركة يختار ابن بسام قول الشاعر عنترة العبسي في وصف الذباب ،اذ يقول (عنتره بن شداد ، ٢٠٢٤: ١٧٠):

ترى الذباب بها يغني وحده هزجا كفعل الشارب المترن

غردا يسن ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الأجذم

فعنترة يصف الذباب حين يقع ثم يحك أيديه احداها بالاخرى ،فيشبه برجل مقطوع اليدين ،يقدح بعودين ،ومتى ماسقط الذباب فهو يفغل ذلك ....ويضيف ابن بسام" ان هذا المعنى انما اخترعه أولا عنترة،...وأن هذا التشبيه ماله شبه ،ولم يجسر عليه أحد(ابن عبد ربه ، ١٠١٤: ١٨٦)".

ولأبن عبد ربه قوله بقضية السرقات ،اذ يقول :"أكثر ما يجتلبه الشعراء ،ويتصرف منه البلغاء ،فانما يجري فيه الآخر على سنن الأول ،وقل مايأتي لهم معنى لم يسبق له أحد ،أما في منظوم ،وأما في منثور لا الكلام بعضه من بعض "(ابن عبد ربه ، ١٠١٤: ١٨٦).

وقد وقف ابن عبد ربه أمام ابيات لأمرئ القيس ،التي يقول فيها (عنتره بن شداد ، ٢٠٢٤: ١١١):

له أيطلا ظبي ،وساقا نعامة وارخاء سرحان ،وتقريب تتفل

كأن على الكتفين منه اذا انتحى مداك العروس أو صلابة حنظل

فيعلق ابن عبد ربه على هذه الابيات "أول من شبه الخيل بالظباء ،والسرحان بالنعامة ،وتبعه الشعراء وحذو حذوه وعلى مثاله " (ابن عبد ربه، ١٠١٤: ١٨٦)

فابن عبد ربه يؤكد ان المعاني بعد الشعر الجاهلي كلها متكررة ،وغير اصيلة فالاختراع وأصالة المعنى انتهت بانتهاء العصر الجاهلي والسابقين الى الشعر ،ولاشك ان هذا التساهل من ابن عبد ربه في قضية السرقات اعطى فرصة للشعراء ان يبدعوا في الجانب اللفظي التشكيلي للنص ليثبتوا مقدرتهم الشعرية ويحظوا برضى السلطة .وبذلك فهو يشترك مع ابن بسام في هذا الرأي.

ومن الاهتمام بالسرقة الأدبية ، ماجرى مع ابن دراج القسطلي عندما مدح المنصور بقصيدة عارض بها ابا العلاء صاعد البغدادي يقول فيها(الضبي، ١٩٦٧: ٢٩٨) :

اضاء لها فجر النهى فنهاها عن المختنق المضي بجر هواها

قال الضبي عن القصيدة "وهي طويلة مستحسنة فساد الظن بجودة ما اتى به من الشعر واتهم فيه .فسعى به الى المنصور بانه منتحل سارق لا يستحق ان يثبت في ديوان العطاء الخاص بالشعراء فاستحضره المنصور واختبره واقترح عليه ،فبرز وسبق وزالت التهمة عنه مفصلة بمئة دينار واجرى عليه الرزق واثبته في جملة الشعراء "(الضبي، ١٩٦٧: ٢٩٨)

وقد هز ذلك نفس ابن دراج فاراد ان يؤكد شاعريته بما هو اكثر من ذلك ليقضي على مزاعم الحاسدين ،وكان ابن دراج معروف بتنقيح الشعر وتجويده ،ولكن لان الموقف يتطلب الرد المباشر على الاتهام بالسرقة قال مرتجلا (الحميدي،١٩٦٦: ٢٩٩):

حسبي رضاك من الدهر الذي عتبا وعطف نعاك لحظ الذي انقلبا

وكيف اظمأ وبحري زاخر وظما الى خيال من الضحضاح قد نضبا

هذه المحاورات في مجملها تصور لنا جانبا من الممارسات النقدية التي كانت تدور في مجالس المنصور ابن ابي عامر ونستشف منها المقاييس النقدية التي كانت سائدة واعتمد عليها المنصور في اصدار حكمه على الشعر .

كذلك تحدث بسام عن قضايا تمس الشاعر المبدع كقضية الطبع والصنعة واهتمامه بالطبع ظاهر فقد اولى له عناية مركزة ،فذكر ان اول شروط الطبع هو البيان وهو لايتهيأ بالدرس بل هو فطرة فطر الله عليها عباده ،وربط بين الطبع والنفس "ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ،فمن كانت نفسه في اصل تركيبه مستولية على جسمه كان مطبوعا روحانيا "(الشنتريني ، ١٩٨١: ١١٧).

فابن شهيد يرى ان سر البلاغة يعود الى الطبع ،قبل ان يعود الى استيفاء مسائل النحو وحفظ كثير الغريب ،وان البلغاء يتفاوتون بقدر ما يتفاوت تركيب أنفسهم مع اجسامهم ،"فمن كانت نفسه مستولية على جسمه كان مطبوعا روحانيا ،يخرج صور الكلام والمعاني في اجمل هيئاتها ،وارق لباسها والذي يكون جسمه مستوليا على نفسه من اصل تركيبه ،كان مايطلع من الصور ناقصا عن المرحلة الاولى في التمام والكمال وحسن الذوق ،فمن كانت نفسه هي المستولية على جسمه فقد تأتي منه في حسن نظام صور رائعة تملأ القلوب وتنعش النفوس ،فاذا فتشت في حسنها اصلا لم تجد ولجمال تركيبها وجها لم تعرفه ،وهذا هو الغريب ان يتركب الحسن من غير الحسن ،كقول امرئ القيس (عنتره بن شداد ، ٢٠٢٤: ١١١):

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب ادنى دارها نظر العالي

فهذه الديباجة ،اذا تطلبت لها اصلا من غريب معنى لم تجده ،ولكن لها من التعلق بالنفس والاستيلاء على القلب ما ترى "(الشنتريني ، ١٩٨١: ١١٧).

وكان لابن بسام نظرته الخاصة عن الجمال البديهي من خلال الاتساق التركيبي الكامل فقال "ان للحروف انسابا وقرابات تبدو في الكلمات فاذا جاور النسيب النسيب ومازج القريب القريب طابت الالفة وحسنت الصحبة" (الشنتريني ، ١٩٨١: ١٢٤).

وبذلك نجد ان الاوضاع السياسية ولاسيما الثورة البربرية في القرن الخامس الهجري تسببت في ظهور انماط جديدة من الكتابة الادبية ،وانتقل النقد الذي به قوام الادب من حضن المؤدبين الى النقاد ذوي الذائقة المتفردة ،كما عني نقدهم في الاستعانة بالمجالات الانسانية الاخرى كالتاريخ والفلسفة وعلم النفس .كما هو الحال في الخطابات النقدية عند ابن شهيد وابن حزم (الضبي، ١٩٦٧: ٢٩٥).

ومن الحكام الذين بذلوا جهدا كبيرا في تكوين الذوق الادبي الاندلسي وتطوير حركة النقد في الاندلس الخليفة عبد الرحمن الثالث الذي لقب بالناصر .والذي امتدت فترة حكمه بالاندلس حوالي خمسين عاما من ٣٠٠-٣٥٠ ،وقد استطاع ان يوسع رقعة الدولة الاندلسية في حكمه ،وحقق استقرارا سياسيا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا ،فازدهر الشعر وقويت روح التنافس بين الشعراء والادباء .مما اسفر عن نشوء حركة نقدية (الضبي، ١٩٦٧: ٢٩٥).

وبعد الناصر تولى المستنصر ابنه الخلافة الذي حرك جذوة المنافسة مع المشارقة في الانتاج الادبي مما اسفر على تطوير حركة النقد والتوجيه والتقويم ،مما اسفر عن نشاط حركة التاليف فقد الف الجياني كتاب الحدائق معارضا به كتاب الزهرة لمحمد بن داود ذكر فيه فقط شعر الاندلسيين (الداية،٢٠٠٨ :١١٧).

ولاننسى في هذا المقام صاعد البغدادي الذي اثر في تطور الحركة النقدية في الاندلس بقدومه اليه .اذ كان البغدادي يختبر غيره من الادباء والشعراء في مجالس المنصور ليشير الى علمه ،واقتداره ،ومن ذلك انه سال جماعة من اهل الادب عن قول الشماخ اذ يقول(الضبي، ١٩٦٧: ٢٩٧) :

دار الفتاة التي كنا نقول لها ياظبية عطلا حسانة الجيد

تدني الحمامة منها وهي لاهية من يانع الود قنوان العناقيد

فالعطل يقصد بها المرأة التي ليس عليها حلي ،والحسانة هي الشديد الحسن ،واليانع يقصد به المثمر ،والغصن العود ماخلا من الورق ،اما القنوان فجمع القنو العرق بما فيه من الرطب اذ قالوا (هي الحمامة تنزل على غصن الاراكة والكرم فتمكن الظبية منه وترعاه)،وانكر صاعد البغدادي عليهم ذلك وقال "وان الحمامة في هذا البيت هي المرأة أدنت المرآة منها في المنظر شعرها الذي هو كقنوات العناقيد من يانع الكرم فراته "(الضبي، ١٩٦٧: ٢٩٧).

فمن خلال تلك المحاورات والمناظرات بين صاعد البغدادي واهل الاندلس نشطت الحركة النقدية ،فقد ترك اثرا كبيرا في الثقافة الاندلسية عامة واثار حركة نقدية واسعة النطاق شملت اللغة والنحو والادب اذ اثر اثرا بالغا في تهذيب الذوق الادبي الاندلسي ونقده(الداية،٢٠٠٨ :١١٩).

وبذلك فالحكام والامراء قادوا الحركة الادبية متسلحين بعلماء اللغة ،وكانت مجالسهم تضم كبار الشعراء والادباء والنقاد ،ولقد واكب هذه اللقاءات تقويم نقدي لما يعرضه الشعراء من نتاجاتهم ،وكانوا يشاركون الحاضرين في الاحكام النقدية ،واهم مايميز النقد في هذه المجالس التنافس الادبي والسياسي الذي اتخذ من النقد وسيلة الى رضى الخلفاء او سبيلا لاقصاء منافس ،وهذه اللقاءات الادبية التي كانت تعقد في مجالس الخلفاء كانت المصدر الوحيد للباحث عن النقد الادبي في الاندلس في تلك

الفترة ،حيث انها تمثل مزاجا فنيا ووسيلة اعلامية لدى محبي الشعر ومتذوقيه (الحميدي،١٩٦٦: ٢٩٩).

اذ يعد الحكام من المؤثرات الرئيسة التي شكلت الذوق الادبي والنقدي في الاندلس ،وكان تأثيرهم عظيما في الفترة الاولى من تاريخ الاندلس ولاسيما في عهد الخلافة الى سقوطها في قرطبة ،وبعد ذلك بدأت الفتن تعصف بالاندلس مما أبعد الادب عن بلاط الحكام ،والامراء واصبح هناك كساد ادبي ،ولايعني ذلك ان الادب لم يعد موجودا ولكنه انفصل عن الرعاية الاميرية له .

"وفي المرحلة الاولى من تاريخ الاندلس الادبي كانت هناك ممارسة رسمية في توجيه الادب الى مشارف الفحولة والجزالة والعمق ،من خلال ممارسة الحكام وبذوقهم العربي الاصيل وصايتهم عليه منذ فترة تاسيس الامارة الى نهاية القرن الخامس الهجري ،من خلال انهم جعلوا الادب يستمد انموذجه من ابعاد البيئة العربية ،وقد ساعدهم في ذلك مواهب ادبية ترعرعت في منابت الاساليب الاصيلة ."(عبد الرحيم، ١٩٨٤: ١١).

وكان المعتضد من الحكام الذين لهم الاثر الواضح في تنشسيط الحركة النقدية في الاندلس "اذ كان ذو الوارتين ،،،ممن له في الغلم والادب باع ،ولذوي المعارف عنده بها سوق وارتفاع ،وكان يشارك الشعراء والبلغاء ،في صنعة الشعر ،وقول البلاغة بسطا لهم واقامة لهممهم "(الشنتريني ، ١٩٨١: ٤).

وأدى المعتضد دورا كبيرا في تهيئة مناخ المنافسة بين الشعراء والكتاب ،من ذلك مايروى عن المعتضد العبادي ،عندما انشده حبيب الحميري مدحة دبج صدرها بمقدمة روضية ،ضادية الروي يحاكي بها قصيدة للفقيه ابي الحسن بن علي ....حيث أمر باحضار كل من :ابي بكر بن القوطية وابي جعفر ابن الابار ....وغيرهما وامرهم بمعارضتهما .

ثم استوثق الامر من بعده لأبنه المعتمد ،وكان مع اشتغاله بالحرب يقول الشعر ،ومن اجمل شعره ماقاله في ايام سقوطه ،وانهيار سلطانه ،اذ يقول(الشنتريني ، ١٩٨١: ٢٨) :

لما تماسكت الدموع وتنبه القلب الصديع
قالوا الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع
والذ من طعم الخضوع على فمي السم النقيع

لم استلب شرف الطبا ع أيسلب الشرف الرفيع
قد رمت يوم نزالهم الا تحصنني الدروع

وفي مجالس ابن عباد دارت الاراء النقدية التي كانت تمثل اراء جريئة مبنية على التعليق على المعنى من حيث ملائمته للمدح ،ومن امثلة ذلك "ان الحجاري مدح المعتمد بن عباد ،وبعد ان سمع منه القصيدة ،دقق بقولي (الشنتريني ، ١٩٨١: ٢٨):

ولاسقاهم على ماكان من عطش الابعض ندى كف ابن عباد

فقال:لأي شيء بخلت عليهم أن يسقوا بكف" (ابن خلكان،١ :٢٢) .

وكان لاعجاب المعتمد بالمتنبي دور نقدي في توجيه الشعراء للاحتذاء به ،ومحاكاته ،ونجد بذلك ان الحكام والامراء قادوا الحركة الادبية متسلحيين بعلماء اللغة الملتفتين الى المشرق العربي ،وكانت مجالسهم تضم كبار الشعراء والادباء والنقاد ،ولقد ولكب هذه اللقاءات تقويم نقدي لما يعرضه الشعراء من انتاجهم ،وكان يشارك الحاضرون في الاحكام النقدية وفي مقدمتهم الخلفاء والامراء ،واهم مايكيز النقد في هذه المجالس التنافس الادبي والسياسي الذي اتخذ من النقد وسيلة الى رضى الخلفاء او سبيلا لاقصاء منافس ،وهذه اللقاءات الادبية التي كانت تعقد في مجالس الخلفاء كانت المصدر الوحيد للباحث عن النقد الادبي في الاندلس في تلك الفترة ،حيث انها تمثل مزاجا فنيا ،ووسيلة اعلامية وثقافية لدى محبي الشعر ومتذوقيه .

وان حلقات الخلفاء والامراء كانت تضم حلقات علمية ومؤخذات نقدية ،اهتمت بمعاجة قضايا نقدية مشهورة ،كقضية البديهة والارتجال ،والطبع والصنعة ،والسرقات الادبية ،والاختيارات الادبية وغيرها من القضايا الادبية (الشنتريني ، ١٩٨١: ٣٠).

ومن الفواعل التي فعلت الخطاب النقدي قضية الموازنة بين الشاعر واصحاب السلطة ،وتتميز هذه الموازنة بالعلاقة الحدية بين الشاعر والحاكم ،فأما ان تكون حسنة او علاقة سيئة ،ولا وجود لحالة وسطى بينهما ،ومن هذه الموازنات ماجرى للشاعر الغزال يحيى بن الحكم حين أراد الأمير عبد الرحمن الثاني أن يرسل سفيرا الى بلاد الروم ،بعد ارسال تيوفيل قيصر الروم عام ٢٢٥هجرية سفيرا الى قرطبة لتوثيق عهد الصداقة والتحالف ضد الافرنج والعباسيين ،اراد الامير اختيار شخصية مقبولة

لدى الروم بحيث تحقق النجاح لهذه السفارة ،ووجد الامير ورجال دولته شخصين أحدهما يدعى ابن طلبة والاخر يدعى يحيى الغزال ولكل واحد منهما مؤهلات فريدة ،واقترح رجال الامير ارسال ابن طلبة ،ولكن الامير اختار الغزال لهذه المهمة (الشنتريني ، ١٩٨١: ٣٠).

وقد عبر الشاعر الغزال عن هذا الموقف الصعب الذي وضع فيه ،فقد اقترن بشخص اخر قد يفوقه في المؤهلات فوازن بين حاله وحال ابن طلبة منصفة ،قال (الشنتريني ، ١٩٨١: ٣١):

ان ابن طلبة لم يرسل للحيته لكنه كان من أهل المروءات
وكان بالدهر ذا علم ومعرفة وصحبة لعليات الرجالات
وكان للروم جارا في حداثته يغشاهم في السرايا والتجارات

.....

والروم ليس ذوي شعر فانشدهم اذا وردت عليهم من مقالاتي
ولايريدون أملالي لكتبهم ولاحسابي ولا في الدين اخباتي

يوازن الشاعر بين مؤهلاته ومؤهلات منافسه ابن طلبة ،وهي صفات تؤهله للسفارة الى بلاد الروم ،وابتدأ بصفات منافسه وهي ان ابن طلبة يملك لحية طويلة لم يرسل لغرابتها ،ولكنه من اهل المروءة والانسانية ،وهو يعلم بتاريخ الامم والعصور الماضية ،وله القدرة على صحبة كبار رجال الدولة ،وله معرفة بأحوال الروم لانه كان مجاورا لهم في حداثته ،وكان يغير عليهم في القتال ،ويزورهم في التجارة ،ولذا كانوا يجتمعون حوله ،ويأخذونه معهم الى ساحات اللعب ويغني فيطربون لغنائه (التلمساني، ١٩٦٨: ٧٥).

أنصف الشاعر الغزال منافسه ابن طلبة في الموازنة بين المؤهلات ،فقد بدأبذكره ومؤهلاته قبله ،واطنب في وصفها وتحرى الواقعية في قبولها لدى الروم ،لانها لا تتعارض مع مايريدون ،ومايرغبون فيه لتعودهم عليه ،ثم ذكر مؤهلاته باقتضاب ،وصرح انها لاتوافق هواهم ،فهم لايتذوقون الشعر ولايرغبون في الحساب ،ولا الاطلاع على كتبهم القديمة ،ولاتضحكهم اللحى الطويلة ،ولذا وجد من الافضل ان يقدم منافسه للسفارة ،وانه اصلح منه لنجاحها وبذا انتهج الغزال النقد الموضوعي في موازنته بين الصفات المختلفة (التلمساني، ١٩٦٨: ٧٥).

واتهم ابن شخيص اصحاب السلطة انهم لايفهمون الشعر واتصفوا بالبخل ،لانهم لايتذوقونه ،قال (التلمساني، ١٩٦٨: ٧٦):

قست بالشعر معشرا فاذا هم صور الانس في طباع الحمير

كلما جئتهم لانشد شعري طمعا من نوالهم باليسير

فكأني وضعت فلكة بوق في فمي أو ضغطت أنبوب كير

ونجد ان الشاعر في هذا القول استخدم القياس بالشعرفي الموازنة بين من يفهم الشعر وبين من لم يفهمه ،والقياس يقتضي وجود طرفين مختلفين للموازنة ،واستدل على الفهم بالكرم والعطاء ،وعدم الفهم بالبخل والاقتار ،ووضع الشاعر شعره مقياسا ،وتقدم بشعره لمعشر من اصحاب السلطة ،فوجد أشكالهم أنسية ،ولكن طباعهم كالحمير ،وكلما أنشد شعره فيهم طمعا بالعطاء القليل ،وظنا انه سوف يحرك أريحتهم ،ولكن لا حراك منهم ،وكأنه ينفخ في بوق يزعجهم ،او يحرك منفاخ كير لايحتملون دخانه ،فامتنعوا عن النوال والعطاء ،وشتان مابين الحالين .

ونجد الجزار السرقسطي يثني على ممدوحه زهير العامري الذي كساه بحلل العطاء بعد ان حلاه الشاعر بدرر قوله ومنطقه في قوله (حاجم، ٢٠١٩: ٦٥):

انت الذي انعشتني بمكارم جلت فواضلها عن الاحصاء

وكسوتني حلل المبرة عندما كشفتني الدنيا فكنت غطائي

فلا كسوتك من بدائع منطقي حللا مطرزة بتبر ثناء

ولاشكرنك ما تراخت مدتي شكر الرياض لواكف الانواء

فالشاعر يوازن بين عطاء الممدوح له وبين عطائه للممدوح ،كان عطاء الممدوح ماديا ،وكان عطاؤه للممدوح معنويا ،فكفاه الممدوح عن العوز والحاجة ،وبالمقابل الشاعر اعطى الممدوح عطاء معنويا اذ البسه من شعره ثيابا مطرزة .وبذلك كانت الموازنة متوازنة بين الطرفين (حاجم، ٢٠١٩: ٦٥).

من كل هذا يمكننا القول ان هذه الموازنات بين الشعراء واصحاب السلطة فتحت ابواب الموازنات النقدية التي شاعت في الاندلس فترة طويلة ،ومنهم ابن شهيد الذي وجد ان هناك شعراء نقاد

جاشت صدورهم بالغل عليه وهو يبحثون عن مساوئ في شعره لعلها تقلل من مقدرته الشعرية ،اذ قال (حاجم، ٢٠١٩: ٦٦):

ويلفت أقواما تجيش صدورهم علي واني منهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولي فاسمعت معجزا وغاصوا على سري فأعياهم أمري
فقال فريق ليس ذا شعر شعره وقال فريق أيمن الله لاندري
أما علموا أني الى العلم طامح واني الذي سبقا الى عرقه يجري

ففي هذه الابيات حاول الشاعر ان يرد على منتقدي شعره من اصحابه الشعراء بموازنات وصفية بينه وبينهم ضمن كل بيت ،وقد بلغه ان بعض الادباء تغلي صدورهم عليه من الغيرة والحسد ،وهو يقابلهم بأن صدره فارغ من الحقد عليهم 'استمعوا لشعره فوجدوه كلاما معجزا ،وهذه مبالغة من الشاعر اراد منها اظهار تفوقه عليهم ،فهم اعياهم البحث في شعره ،ولم يصلوا الى نتيجة سليمة وافترضوا رأيا وانقسموا على فريقين ،فريق يرى ان هذا ليس شعره بل سرقه .وفريق آخر اقسم ان لايدري ان الشعر له او لغيره .ثم يقابل الشاعر الفريقين ان هذا شعر شاعر طامح الى العلم ،وله سبق فيه يدفعه طبع يجري في أصوله (حاجم، ٢٠١٩: ٧١).

ويعجب ابن الحداد من حال الشعراء في عصره فهم يثيرون العداوة والبغضاء في وجه كل من يسموا الى العلياء منهم ويبحثون في شعره عما يشينه ،فقال (حاجم، ٢٠١٩: ٧١):

عجبت لغمازين علمي بجهلهم وان وان قناتي لاتلين عن الغمز
تجلت لهم آيات فهمي ومنطقي مبينة الاعجاز ملزمة العجز
ولاحت لهم همزية او احادية وويل بها ويل لذي الهمز واللمز
رموها بنقص ينبت فيه نقصهم ومن لمس الأفعى شكا ألم النكز

فالشاعر في هذه الابيات يوازن بين افعاله وبين افعال غيره من الشعراء الذين يتصيدون في الماء العكر ،وهي موازنة تجري في كل بيت ،اذ انشد الشاعر قصيدة على حرف الهمزة اتى فيها بالفاظ غريبة صعبة حركت السن الشعراء والنقاد ،وراحوا يتغامزون جهلا بمعانيها فرد عليهم بأنه لايصبر على غمزهم ،وقد اتضحت دلائل علمه وفهمه في هذه الهمزية التي يصعب النظم فيها ،وقد بينت عجزهم وجهلهم في لغتها فكانت اوحدية في نظمها والويل لمن يتصدى الى التقليل من اهميتها

،فرموها بالنقص والتوعر والحوشية في اللفظ فنالهم مثل من لمس الافعى فلدغته وظل يشكو الم نكزها .

وبذلك نجد ان السلطة السياسية او سلطة الحكم كان لها الاثر الفاعل في انتاج الفواعل المميزة لانتاج الخطاب النقدي الاندلسي ،كقضية الموازنات الشعرية التي اوجدها النقاد ،فضلا عن القضايا النقدية ال المتميزة كفضية الطبع والصنعة، واللفظ والمعنى وغيرها من اساسيات النقد الادبي او الخطاب النقدي الاندلسي تلك الاساسيات التي نشأت في احضان الحكام والسلطة والمعارضات والمحاورات النقدية المستفيضة .

الخاتمة :

ومن الفواعل التي فعلت الخطاب النقدي قضية الموازنة بين الشاعر واصحاب السلطة ،وتتميز هذه الموازنة بالعلاقة الحدية بين الشاعر والحاكم ،فأما ان تكون حسنة او علاقة سيئة ،ولا وجود لحالة وسطى بينهما ، وبذلك نجد ان السلطة السياسية او سلطة الحكم كان لها الاثر الفاعل في انتاج الفواعل المميزة لانتاج الخطاب النقدي الاندلسي ،كقضية الموازنات الشعرية التي اوجدها النقاد ،فضلا عن القضايا النقدية ال المتميزة كفضية الطبع والصنعة ،واللفظ والمعنى،،وكانت مجالسهم تضم كبار الشعراء والادباء والنقاد ،ولقد واكب هذه اللقاءات تقويم نقدي لما يعرضه الشعراء من نتاجاتهم ،وكانوا يشاركون الحاضرين في الاحكام النقدية ،واهم مايميز النقد في هذه المجالس التنافس الادبي والسياسي الذي اتخذ من النقد وسيلة الى رضى الخلفاء او سبيلا لاقصاء منافس ،وهذه اللقاءات الادبية التي كانت تعقد في مجالس الخلفاء كانت المصدر الوحيد للباحث عن النقد الادبي في الاندلس في تلك الفترة ،حيث انها تمثل مزاجا فنيا ووسيلة اعلامية لدى محبي الشعر ومتذوقيه.

المصادر والمراجع:

١. فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩هـ) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، ١٩٨٨.

٢. تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، السيد عبد العزيز سالم، عدد الأجزاء: ١، عدد الأوراق: ٤٦٠ ، الطبعة: ١، مصر ، مؤسسة شباب الجامعة.

٣. تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، شكيب أرسلان، عدد المجلدات: ١، عدد الصفحات: ٣١٠، دار الكتب العلمية عن طبعة عيسى البابي الحلبي.
٤. المُغْرِب في ترتيب المُعرِب، أبو الفتح ناصر الدين المطرزي (٦١٠) ، حققه: محمود فاخوري عبد الحميد مختار، مكتبه أسامه بن زيد، حلب – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٥. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ) ، المحقق: إحسان عبا، دار صادر، بيروت – لبنان ، ١٩٦٨.
٦. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، علي ابن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط، الطبعة: ١٩٧٢. عدد الصفحات: ٥١٧.
٧. المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت ٦٤٧هـ) ، المحقق: الدكتور صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م ، عدد الصفحات: ٣٠٣.
٨. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، مجهول ، المحقق : الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء – المغرب ، الطبعة : الأولى سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، عدد الصفحات : ٢٠٧.
٩. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) ، المحقق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، الجزء: ١ ، الطبعة: ١، ١٩٨١.
١٠. الحلة السيراء، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ) ، المحقق: الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م.
١١. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (ت ٥٩٩هـ) ، دار الكاتب العربي – القاهرة ، ١٩٦٧ م ، عدد الصفحات: ٥٤٧.
١٢. تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، محمد رضوان الداية. قسم: تاريخ الأندلس ،٢٠٠٨، الصفحات: ٢٠١.

١٣. العقد الفريد ، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ ، عدد الأجزاء: ٨.

١٤. ديوان عنترة تحقيق ودراسة ، عنترة بن شداد ، المحقق :محمد سعيد مولوي · حالة الفهرسة: غير مفهرس ، المكتب الإسلامي ، عدد المجلدات: ١ ، عدد الصفحات :٤٢٢، ٢٠٢٤.

١٥. جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس، المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨ هـ)، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، عدد الصفحات: ٤١٤.

١٦. تيارات النقد الادبي في الاندلس ، مصطفى عليان عبد الرحيم ،ط١،مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٩٨٤م.

١٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) ، المحقق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ج٢، ١٩٧١.

الموازنات الوصفية في الشعر الاندلسي ، د.احمد حاجم ، دار غيداء ،عمان، ٢٠١٩.